أناشيد صوفية

جيتانجالى

للشاعر الفيلسوف طاغور

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

— ٥٧ —

انتظمْ في نشيدى الأخير كل فنون الطرب : الطرب الذي يكسو وجهه بخضرة النبات التراكم ؛ الطرب الذي يبعث التوأمين — الموت والحياة — في أنحاء الأرض يطوفان معاً ؛ الطرب الذى يهبط جارفاً في ثنايا عاصفة فينفث في الحياة روح اللذة والمرح ، الطرب الذى يستقر في هدوء وعبرانه على زهرة اللوتس الحمراء وهى تتفتح ؛ الطرب الذى ينثر كل ما يملك على الثرى ثم هو لا يستطيع حديثاً

— ٥٨ —

نعم ، أنا أوقن بأن هذا ليس شيئاً سوى حبك ، يا حبيب القلب ! هذا الشعاع الذهبي المتألق على أوراق الشجر ، هذه السحب المتكاثفة وهى تسبح في الفضاء ، هذا النسيم العليل وهو يهب ندياً يداعب وجهى

لقد ملأ نور الصباح عينيّ ، وهو رسالتك إلى قلبي ، إن وجهك يطل عليّ من عل ، وعينيك تحدقان في ، وقلبي يلمس قدميك

— ٥٩ —

على شاطىء بحر الكون اللانهائى يتلاقى الأطفال ، ومن فوقهم السماء تمتد في سكون إلى اللانهاية ، وبازائهم الأمواج المضطربة تزمجر ، وعلى شاطىء بحر الكون اللانهائى يتلاقى الأطفال في هياج ومرح

وهم يتخذون من الرمال قصوراً ، ومن الأصداف الفارغة لُعباً ؛ ويُشيدون من الأوراق الذابلة قوارب يدفعون بها على صفحة الماء الغَمْر في لذة . إن الأطفال يجدون السلوة على شاطىء بحر الكون

إنهم لا يستطيعون السباحة ولا يعرفون كيف تاقى الشباك . إن الغواص يندفع يفتش عن اللآلىء ، والتاجر يتطلق على الفلك يجمعها ، ولكن الأطفال يجمعون الحصى وينثرونه لأنهم لا ينقبون عن الكنوز الخفية ، فهم لا يعرفون كيف تاقى الشباك

البحر يموج كأنه يقهقه ؛ ورمال الشاطىء الصفراء تشف عن بسمة رقيقة ، والأمواج إلى جانب الأطفال ترجع أغانى لا معنى لها كأنها صوت أم تهدهد طفلها وهو في مهده . إن البحر يداعب الأطفال ، ورمال الشاطىء الصفراء تشف عن بسمة رقيقة

على شاطىء بحر الكون اللانهائى ، يتلاقى الأطفال والعاصفة تزمجر في الفضاء ، والسفن تتحطم في مجاهل الأمواه . الموت هناك ، وهنا الأطفال يلعبون . على شاطىء بحر الكون اللانهائى يتلاقى الأطفال لقاءهم العظيم

— ٦٠ —

أفيستطيع إنسان أن يعرف من أين يهبط النوم الذى يداعب جفنى الطفل ؟ نعم ، إن الاشاعة تدوى أنه يتخذ له مسكناً في القرية الجميلة التى بين تغاريق الغابة الظلماء لا ينيرها سوى الشعاع الضئيل المنبعث من الفراش المضيء ، هناك تتدلى زهرتان فيهما الحياء والفتنة تنفثان ريح النوم فينطلق ليقبل عينى الطفل

أفيستطيع إنسان أن يعرف من أين تهب البسمة الساحرة التى ترتسم على شفتى الطفل وقد غمره النوم ؟ نعم ، إن الاشاعة تدوي أن شعاعاً رفيقاً ندياً انبعث من القمر وهو هلال فلمس حافة سحابة من سحب الخريف وهى تكاد تتلاشى ، فولدت — أول ما ولدت — الابتسامة في أحلام الصباح الندي ... هذه هى الابتسامة الساحرة التى ترتسم على شفتي الطفل حين يغمره النوم

أفيستطيع إنسان أن يعرف أين كان يتوارى النشاط الحلو الرقيق الذى يضطرم في أطراف الطفل ؟ نعم ، حين كانت الأم فتاة ألقت بقلبها في هدوء بين خفايا الحب ... الحب ، إنه هو النشاط الحلو الرقيق الذى يضطرم في أطراف الطفل

— ٦١ —

حين أحمل إليك — يا بنيّ — ألعُب الجميلة الملونة أستطيع أن أعرف لماذا ارتسمت هذه الألوان على السحب ، على الماء ، ولماذا صبغت الأزهار اليانعة بألوان جذابة .. حين أحمل إليك — يا بنى — ألعُب الجميلة الملونة ، حين أغنى أمامك لترقص على نغم أغانيّ ؛ أعرف حقاً لماذا تنبعث الموسيقى من حفيف أوراق الشجر ، ولماذا يرسل الموج ألحانه في قلب الأرض الصامتة .. حين أغني أمامك لترقص على نغم أغانيّ

حين أقدم لك الحلوى فتتقبلها في شغف ؛ أعرف أنا لماذا امتلأ كأس الزهرة رحيقاً ، ولماذا انضمت الفاكهة على عصير حلو ... حين أقدم لك الحلوى فتتقبلها في شغف

في العدد الماضي سقط سهواً نشيد (٥٣) وأوله : ما أجمل سوارك ٢ ، ١٠

حين أقبل جبينك — يا عزيزى لتبسم ؛ أستطيع أن ألمس اللذة فى شعاع الصباح المنير ، وأن أحس النشوة التى تنفثها فىّ نسمات الصيف ... حين أقبل جبينك لتبسم

— ٦٢ —

أنت عرّفت علىّ أصدقاء لا أعرفهم ، وجبوتنى بمكان فى كل دار وليس لى واحدة منها ، وأنت كشفت لى عن كل مبهم ، ومنحت علىّ رفيق فى الغربة

إن قلبى ليضطرب حين أهجر مأواى الذي سكنت إليه . لقد نسيت أن القديم يتحدّر إلى الحديث فيعيش معه ، وأنك أنت أيضاً بين صراع الحياة والموت ، على هذه الأرض أو على سواها ، تقودنى أنت أنىّ شئت ... وأنت رفيق الأوحد فى هذه الحياة الأبدية ، رفيقى الذي تجذب إليك قلبى بنفثات من الطرب المجهول

إن الذى يعرفك لا يستشعر الغربة فى هذا العالم ولا تسد فى وجهه الأبواب . أوه ، تقبل صلواتى كى لا أفقد لذة لمساتك — أيها الفرد — فى سبيل المجموع

— ٦٣ —

عند منحدر النهر الموحش ، وبين الحشائش النامية سألتها « يا سيدتى ، إلى أين تذهبين وأنت تسترين سراجك بين طيات ملاءتك ؟ إن دارى مظلمة خاوية فأعيرينى ضوءك ! » فأرسلت من عينيها السوداوين نظرات نفاذة اخترقت أستار الظلام ، واستقرت علىّ حيناً ثم قالت « لقد جئت إلى النهر لأضع مصباحى على صفحة الماء حين يتطفأ مصباح النهار » فوقفت وحيداً بين الحشائش أرقب نور مصباحها الخافت وهو يتناثر بدداً على صفحة الماء

وفى صمت الظلام سألتها : « يا سيدتى ، لقد همد مصباحك فالى أين تنطلقين ومعك سراجك ؟ إن دارى مظلمة خاوية فأعيرينى ضوءك ! » فأرسلت من عينيها السوداوين نظرات نفاذة استقرت علىّ حيناً ، ثم قالت : « لقد جئت لأقدم مصباحى إلى السموات » فوقفت أرقب الضوء الخافت وهو يضطرب — دون جدوى — فى الفضاء

وفى أعماق الليلة الظلماء سألتها : « يا سيدتى ، لماذا تضمين مصباحك إليك ؟ إن دارى مظلمة خاوية فأعيرينى ضوءك ! » فتلبثت قليلاً تفكر ثم نظرت إلى وقالت : « لقد جئت بمصباحى لأنضم إلى الحفل » فوقفت أرقب الضوء الخافت وهو يغوص وسط المصابيح

فضل محمود مهيب

من الشعر الانجليزى

القـــبرة

للشاعر العبقرى الانجليزى « شيلى »

للأستاذ خليل هنداوى

« تعد هذه القطعة أكمل ما جاء فى الشعر الانجليزى وقد نظمها صاحبها فى إيطاليا ، وهو فى الثامنة والعشرين من عمره . وقد قالت امرأته : إنه كان فى أحد أيام الصيف يتجول فى الغابات وقد سمع صوت قبرة ، فأوحت إليه قصيدة من أسمى قصائده » (خ . م)

سلاماً عليك أيتها الروح المرحة !

أنت لست بطائر

يا من تسكبين من السماء ومن الطباق المجاورة

ألحاناً مبتكرة — علينا — يطفح قلبك بها

تطيرين إلى الأعلى ، دائماً إلى الأعلى

وتنقذفين من الأرض كسحابة من نار ،

وتطيرين فوق الأعماق الزرقاء

شادية وأنت محلقة

محلقة وأنت شادية لا تنتهين .

وفى لمعات الشمس الغاربة التى يسطع لها السحاب

تسبحين وتركضين كفرح طليق متوثب بدأ سباقه ؛

صفرة المساء الأرجوانى تنتشر حولك

وكنجمة غمرها نور النهار الواضح تصيحين متوارية ،

ولكنى لا أزال أسمع هتافك الطروب .

الفضاء والأرض مفعمان بصوتك

كمهدها عند ما يرسل القمر أشعته من وراء سحابة منعزلة

فى الليلة الصافية

والسماء يفيض على حواشيها شعاعه

* * *

خرير الينابيع بين الأعشاب اللامعة